المؤسسات التعليمية في عصر السلاجقة (ق 5 هـ - ق 11 م)

أ/ مروان بن شوش
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

- المقدّمة :

يعدّ التعليم من المعايير التي تقاس بها الأمم والدول، لكونه عاملا في تكوين الأجيال وترشيد الشعوب والمجتمعات، ودفعها إلى أسباب القوة والتمكين. فكلما كانت المنظومة التعليمية لدولة ما قوية نظمًا وإدارةً، ظهرت نتائجها الإيجابية على المجتمع في مختلف المجالات، والعكس صحيح.

ومن المعلوم تاريخيا أن الحضارة الإسلامية أولت اهتمامًا بمجال التعليم، لا سيما وأن الإسلام دعا إلى طلب العلم، ولهذا السبب يجد الباحث أن السلاطين والملوك منذ العصور الأولى قد جعلوا التعليم ضمن أهم القضايا في إدارة شؤون الدولة، وتسخير كل الإمكانات لإنجاح العملية التربوية، وهذا ما تجلى واضحا في تشييد المؤسسات التعليمية، واستقطاب العلماء والمدرّسين، فكانت هذه الجهود إدراكًا منهم بأثر التعليم في الحياة اليومية للمجتمع، وفي استمرار الدولة وفقًا لمنطلقاتها، ودورها السياسي والحضاري.

ولما حظي التعليم بهذه المكانة، فإننا سنحاول في هذا المقال إبراز أهم المؤسسات التعليمية بالمشرق الإسلامي خلال عصر السلاجقة[1]، ومدى دور السلاطين في هذا المجال.

تميز الوضع السياسي للمشرق في مستهل القرن الخامس الهجري بالتوتر، ذلك أن الخلافة العباسية لطالما واجهتها الحركات الدينية المناهضة لها من جهة، وخطر الروم والغزو الصليبي الأوروبي من جهة أخرى. كما كان التمزق

الداخلي هو سمة العصر يومئذ. وأمام هذه التحديات ظهر السلاجقة، واعتنقوا الإسلام واعترفت الخلافة العباسية بمشروعية دولتهم، في ظرف أضحت فيه غير قادرة على المساهمة في الأحداث السياسية. ولذلك فإن لقيام دولة السلاجقة أثرًا بارزًا في تاريخ المشرق وغربي آسيا بشكل خاص، والتاريخ الإسلامي بصفة عامة[2]، إذ أنهم تصدوا للخطر الصليبي، وبالإضافة إلى ذلك ساهموا في الحياة العلمية، وهذا ما تجلى في اهتمامهم بالتعليم.

أولا : المدارس

لقد تطرق بعض المؤرخين إلى تاريخ نشأة المدارس في الدولة الإسلامية، فمثلا يذكر ابن خلكان (ت.681هـ/1282م) في ترجمته للوزير نظام الملك الطوسي (ت.485هـ/1092م)، أنه قام بإنشاء المدارس،[3]. كما يقول المقريزي (ت.845هـ/1441م): «... والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسة البيهقية، وبنى بها الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها المدرسة السعدية وبنى بها مدرسة رابعة، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد أنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم، وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك الطوسي ووزير الملك شاه بن ألب أرسلان...»[4].

ومن خلال هذا النص، يظهر لنا جليا أن المدارس النظامية لم تكن أول المدارس في الدولة الإسلامية، وأنها خير ما توصف به أنها مؤسسات تربوية علمية تدخلت الدولة السلجوقية في تحديد أهدافها، ومناهجها، واختيار أساتذتها[5].

وهذا ما سنحاول إبرازه في هذا المقال، وقبل التطرق إلى المدارس النظامية، كان من اللازم الإشارة إلى ظروف وأسباب نشأتها والدور الذي كان لها في الحركة العلمية لبلاد المشرق الإسلامي في عصر السلاجقة. فمن الواضح أن الوضع السياسي في المشرق خلال القرن الخامس الهجري قد تميز بظهور حركات سياسية ودينية تهدف للقضاء على الخلافة العباسية[6].

وخلال هذه الظروف، بدأ التفكير في إنشاء المدارس النظامية عقب اعتلاء السلطان ألب أرسلان الحكم لدولة السلاجقة 455هـ/1063م، فاستوزر نظام الملك الطوسي الذي عرف بمذهبه السني، فرأى أن مقاومة الفكر الباطني الشيعي سياسيا- كما قام به سلفه في خرسان - لن يكتب له النجاح ما دام أن تلك الحركات وظفت النشاط الفكري والعلمي لخدمة أغراضها.

ولهذا أدرك نظام الملك أهمية النشاط الفكري والعلمي المستند إلى الحجة والبرهان لمواجهة الأخطار الداخلية، ولا سيما أن السلاجقة ورثوا في فارس والعراق نفوذ البويهيين، الذين لم يألوا جهدا في بث معتقدات الباطنية في الدولة الإسلامية. ذلك أنهم أنشؤوا مؤسسات تعليمية وجهت لأغراضهم. فمثلا أسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة (ت.416 هـ/1025م) دار العلم في الكرخ سنة 383هـ/993م ووقف فيها كتبا كثيرة، حيث ذكر ابن الأثير أنها بلغت عشرة آلاف وأربعمائة مجلد في مختلف العلوم[7]. وما ترتب على ذلك كله تزايد نفوذهم، فمن أجل ذلك فكر نظام الملك أن يقاوم النفوذ الشيعي بنفس الأسلوب الذي ينتشر به، بمعنى أن يقرن المقاومة السياسية للشيعة والطوائف المعادية بمقاومة علمية فكرية، فلهذا عمل على إنشاء المدارس النظامية التي تنسب إليه، وأوقف عليها الأوقاف الواسعة واختار لها مدرسين أكفاء[8].

أما الهدف الثاني الذي عمل على تحقيقه من خلال تلك المدارس فهو إيجاد طائفة من المعلمين المؤهلين على المذهب السني، لتدريسه ونشره في أقاليم الدولة الإسلامية، وهذا يعد ضمانة لمنع تغلغل أصحاب العقائد المنحرفة في أواسط العامة. ولعل الهدف الثالث هو تكوين موظفين على المذهب السني ليشاركوا في تسيير الدولة وإدارة دواوينها، خاصة في مجال القضاء والإدارة[9]. واستنادا إلى ما أورده الطرطوشي (ت.520هـ/1126م) في كتابه "سراج الملوك"، يتضح لنا جليا الهدف السياسي لنظام الملك الطوسي، وعلى الرغم من طابعها الروائي، إلا أنها

ذات قيمة تاريخية، إذ يذكر أن بعضهم وشى بنظام الملك عند السلطان ملكشاه (465هـ - 485هـ/1072م - 1092م) قائلا : إنه ينفق ستمائة ألف دينار سنويا على مريدي العلم، وإن هذه الأموال كافية لإقامة جيش تخيم رايته على أسوار القسطنطينية، فعاتبه الملك شاه وطلب إليه أن يعلل تصرفه ذاك، فأجابه نظام الملك قائلاً: «أنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل، إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفا بين يدي ربهم، فأرسلوا دموعهم وأطلقوا ألسنتهم، ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون»[10]. فمن خلال تلك الأهداف التي حددها السلاجقة في إنشائهم للمدارس النظامية، أضحت مؤسسات رسمية تابعة للدولة وهذا ما جعلها متميزة عن غيرها، ومن أشهرها:

1- نظامية بغداد[11]:

تعتبر نظامية بغداد من المعاهد الأولى للدراسات العليا في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي، التي امتد وجودها خمسة قرون تقريبا[12]. ولعل إطلاق اسم النظامية على هذه المجموعة من المدارس المؤسسة في عصر السلاجقة، ومنها نظامية بغداد إنما كان بعد القرن الخامس للهجرة حينما بدأ المؤرخون في الكتابة عن هذه المدارس للتمييز بينها وبين غيرها من المدارس التي انتشرت يومئذ في معظم أنحاء العالم الإسلامي[13].

تقع المدرسة النظامية على شاطئ الدجلة في وسط سوق الثلاثاء، وقد وصفها الألوسي بأنها مستطيلة البناء متناسقة الزوايا والأرجاء، فيها محل واسع للدروس وآخر للمذاكرة، وللترويح على النفوس، ومصلاها يسع من المصلين الألوف، وفيها مواضع لرؤساء العلم، وأدوات الطباعين، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير مرفوعة الجدران، مشيدة الأركان، عقد في جوانبها طاقات مستديرة الشكل تنتهي إلى ذلك البنيان المشيد[14].

كان افتتاحها في يوم السبت 18 ذي القعدة سنة 459هـ/1067م، حيث شهدت بغداد يوم ذاك تكريم العلماء بمناسبة انفتاح النظامية وأقيم حفل حضره

كبار رجال الدولة والعلماء والوجهاء وسكان المدينة حتى امتلأ فيناء المدرسة والمحلات المجاورة[15].

لقد كانت نظامية بغداد بمثابة جامعة والنواة التي قامت عليها نظم الجامعات في العصر الحديث، ذلك أن نظام الملك رصد لها مجموعة كبيرة من الطلاب ووفر لهم المأكل والمشرب والملبس، والمسكن وأدوات الكتابة، وكان لها مدير وأساتذة معيدون، وخزانة للكتب يصرف عليهم من الأموال الموقوفة. ويذكر الطرطوشي (ت.520هـ/1126م) في هذا الصدد، جانبا مهما في إدارة المدارس النظامية، إذ يقول: «فبنى دور العلم للفقهاء، وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء، ثم أجرى لهم الجريات والكسى والنفقات، وأجرى الخبز والورق لمن كان من أهل العلم مضافا إلى أرزاقهم، وعم بذلك سائر أقطار مملكته، فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس، إلى سائر الشام الأعلى وديار بكر والعراقيين، وخرسان بأقطارها إلى سمرقند من وراء نهر جيجون مسيرة زهاء مائة يوم، حامل علم أو طالبه، أو زاهد أو متعبد في زاويته إلا وكرامته شاملة له سابغة عليه...»[16]. كما أشار ابن الجوزي (ت.597هـ/1200م) إلى الوقف في المدرسة النظامية والفئات المستحقة له من المنتسبين إلى المدرسة بقوله: «هذه المدرسة والوقف عليها، وفي كتاب شرطها أنها وقف على أصحاب الشافعي أصلا وفرعا، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب، وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرأ القرآن، ونحوي يدرس العربية وفرض لكل قسطا من الوقف»[17].

وفي هذا السياق أورد أبو شامة (ت.665هـ/1266م) في كتابه "الروضتين" عند حديثه عن المدارس التي أسسها نظام الملك الطوسي (ت.485هـ/1092م) : «ومدارسه في العالم مشهورة لم يخل بلد منها حتى جزيرة ابن عمر التي هي في زاوية من الأرض لا يؤبه لها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة...»[18]. أما تاج الدين

السبكي (ت.771هـ/1369م) فيعدد المدارس التي بناها نظام الملك الطوسي: «...وبنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ...»[19].

كانت المدرسة النظامية ببغداد قد أخذت شهرة كبيرة، وهذا راجع إلى ما تقدمه من رعاية واهتمام بطلابها، والمكانة العلمية لأساتذتها، فهي تكاد تكون أشهر المدارس في أرجاء العالم الإسلامي قبل تأسيس المدرسة المستنصرية[20].

ومن أشهر أساتذة نظامية بغداد أبو إسحاق الشيرازي (ت.476هـ/1083م)[21]، وأبو حامد الغزالي (ت.505هـ/1111م)[22]. ومما تجدر الإشارة إليه أن المتخرجين من هذه المدرسة النظامية قد تولوا مناصب في الدولة، وهذا ما يبين أن المدرسة أصبحت مؤسسة مضطلعة بتكوين موظفين للدولة[23].

2- نظامية نيسابور :

نيسابور مدينة آهلة بالسكان عامرة بالمدارس[24]، وصفها ياقوت الحموي قائلا: «نيسابور مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء...»[25]. وهي عاصمة الخلافة العباسية بعد بغداد، اهتم السلاجقة بهذه المدينة، حيث أقام نظام الملك مدرسة للإمام الجويني (ت.478هـ/1085م)[26] على غرار نظامية بغداد. ولم تذكر المصادر التاريخية تاريخ إنشائها، ولكن إذا رجعنا إلى القول المتفق عليه بأن الإمام الجويني بقي فيها مدرسا مدة ثلاثين سنة تقريبا وأنه توفي سنة 478هـ، فيكون تاريخ افتتاحها ما بين 448هـ - 449هـ/1056م - 1057م[27].

استمر الإمام أبو المعالي الجويني (ت.478هـ/1085م) في التدريس بالنظامية حتى ذاع صيته، فكان يحضر دروسه حوالي ثلاثمائة طالب أو أربعمائة حتى إن منهم العلماء، وقد ألف عدة كتب لتكون مرجعا لطلاب المدرسة النظامية بنيسابور.

وقد درس بعد أبي المعالي الجويني الشيخ أبو سعيد القشيري (ت.484هـ/1091م)[28]، كما درس بها أبو المعالي مسعود بن أبي المظفر الخوافي (ت.656هـ/1258م)، الذي تفقه على الجويني في المدرسة النظامية[29]. وفي هذا الجانب تشير المصادر التاريخية أن أبا المعالي قطب الدين النيسابوري صاحب كتاب الهادي المختصر في الفقه كان قد درس بنظامية نيسابور نيابة عن ابن الجويني، ثم

اتجه إلى العراق والشام، وألقى الدروس في مدارس دمشق إلى أن توفي سنة 578هـ/1182م[30]. ومن أساتذتها أيضا محمد بن يحي بن منصور شيخ الشافعية سعد النيسابوري (ت.548هـ/1153م)، ودرس بها أبو حامد الغزالي (ت.505هـ/1111م)[31].

3- نظامية إصفهان[32]:

إن لمدينة إصفهان من إقليم خراسان أهمية كبيرة، وهي لا تنحصر في كونها مركزا تجاريا أو علميا، وإنما لموقعها الجغرافي المتميز، الذي جعل منها هدفا للمتنافسين على السلطة من آل سلجوق، ذلك أن السلطان طغرلبك (ت.455هـ/1063م)، اهتم بها فأنشأ فيها الدور والمساجد، وأغدق عليها الأموال. ولما تسلم ألب أرسلان (ت.465هـ/1072م) السلطة دفع ابنه للإقامة فيها، وقد جعلها ملكشاه (ت.485هـ/1092م) عاصمة لملكه وبنى فيها القصور الفخمة والحدائق الغنّاء، وأجرى فيها قنوات المياه، حتى بلغت من العمران والاستقرار درجة عالية مقارنة بالحواضر الأخرى للخلافة العباسية.

ولم تتوقف جهود نظام الملك الطوسي في المجال الاقتصادي، بل شملت كذلك المجال العلمي والثقافي، إذ لم يبق بإصفهان ناظم بيت ولا كاتب كلمة ولا متقن مسألة إلا أدرّ عليه مرسوما وأدرّ عليه مالا، وهو قد اعتنى بطلاب العلم ورواة الحديث، وشيد بها مدرسة أصبحت تنافس نظامية نيسابور وبغداد[33].

كان من أشهر المدرسين بنظامية أصفهان أبو بكر محمد بن ثابت الخجندي الذي ولاه نظام الملك الطوسي تدريس الفقه إلى أن توفي سنة 531هـ/1136م[34]. ثم درس بها أبو سعيد أحمد ت.531هـ، وأبو المعالي فخر الدين الوركاني، وقد درس بها نيابة عن أولاد الخجندي حتى توفي سنة 559هـ/1163م[35].

لقد بلغت إصفهان مكانة علمية، إذ أصبحت مركز إشعاع حضاري في الشرق الإسلامي، فتوافد إليها طلاب العلم للتفقه على أستاذها الشهير الخجندي (ت.531هـ/1136م) مثل أحمد بن سلام بن مجلد المعروف بابن الرطبي (ت.527هـ/1132م)[36]، وأبي بكر أحمد بن محمد الأرجاني، إذ ذاك استمر في معظم شبابه يطلب العلم بنظامية إصفهان إلى أن توفي سنة 544هـ/1149م[37].

4- نظامية مرو :

يطلق على هذه المدينة مرو الشاهجهان للتمييز بينها وبين مرو الروذ، واشتهرت في التاريخ الإسلامي حيث اتخذها الخليفة العباسي المأمون (ت.218هـ/833م) مركزا لدولته، والملك جغري بك داود (431هـ - 455هـ/1040م - 1063م) حاضرة له، ثم اتخذها حفيد السلطان سنجر بن ملكشاه (485هـ - 552هـ/1092م - 1157م) عاصمة لدولته إلى أن توفي بها[38].

ولولا هجوم التتار على المدينة، ما فارقها ياقوت الحموي لما زارها سنة 613هـ/1216م إلى الممات، لما في أهلها من الرفق واللين وحسن العشرة، وكثرة كتب الأصول، وقد تركها سنة 616هـ/1219م[39].

وعين فيها أبا المظفر بن السمعاني التميمي (ت.489هـ/1096م)، وهذا بعد دخوله مرو سنة 468هـ/1075م، وانتقاله من مذهب أبي حنيفة النعمان الذي ظل يدافع عنه ثلاثين سنة إلى المذهب الشافعي، وبقي فيها إلى أن توفي[40]. وبقيت نظامية إصفهان مقصدا لطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

5- نظامية عسكر مكرم:

يعتبر إقليم خوزستان إقليما واسعا بين وسط البصرة وجبال إصفهان، ومن مدنه الشهيرة عسكر مكرم والأهواز وتستر. اهتم السلاجقة بهذه المدينة، ذلك أن نظام الملك الطوسي شيد بها نظامية خوزستان. ويذكر البعض أن المدرسة كانت في عسكر مكرم، ومن أوائل من درّس فيها القاضي الإصفهاني أبو الوفاء محمد بن محمد (ت.537هـ/1142م) الذي ولي القضاء في عسكر مكرم، ودرس

بنظاميتها، كما درس فيها أبو المحاسن يوسف الدمشقي (ت.563هـ/1167م)، فكان مدرسا في نظامية بغداد ثم عُين في نظامية خوزستان[41].

6- نظامية الموصل:

تقع الموصل في إقليم الجزيرة على مشارف إقليم العراق، فهي باب إقليم العراق ومفتاح خرسان، وتعد من المدن القديمة، تقع على نهر الدجلة. ويقال إنها سميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وربما لأنها وصلت بين دجلة والفرات. يصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة كثيرة الخيرات، عذبة الماء نقية الهواء[42]. وقد ساعد موقع الموصل على ازدهارها الحضاري والعلمي على حد سواء، كما أنها أضحت تحت راية الدولة الإسلامية، وهذا لا شك أنه عامل مهم في تقدمها، إذ أن السلاطين والولاة شيدوا بها العديد من المساجد التي احتضنت حلق العلماء، كما أسست دار العلم للفقيه الشافعي أبي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي (ت.323هـ/934م). كان قد أوقف بها كتبا من مختلف العلوم، فاستفاد منها العلماء وطلاب العلم[43]، وكل ذلك جعل للموصل دورا في الحياة العلمية بالعراق.

أما الموصل في عصر السلاجقة فقد تم بها إنشاء مدرسة نظامية، وهي تقع على شاطئ دجلة أشهر مدن جزيرة ابن عمر، لكن ليس هناك تحديد زمن تأسيسها ولا وقت انقراضها، وهل هي نظامية ابن عمر نفسها؟[44] ما يمكن قوله حقيقة إنها كانت في حدود أواخر القرن 5هـ حتى نهاية القرن 6هـ، وصفها المقدسي بأنها مدرسة كبيرة حسنة، أطلق عليها اسم مدرسة الرضا نسبة إلى لقب مؤسسها نظام الملك رضا أمير المؤمنين، إذ لم نجد في كتب السير المعروفة غير هذا الاسم[45]. وابن جبير لم يذكر عنها شيئا حينما زارها سنة 580هـ/1184م على الرغم من أنه شاهد من المدارس نحو الست أو أزيد على دجلة، وقال عنها : "إنها تلوح كأنها القصور المشرفة"[46].

أما الأساتذة المدرسون الذين وردت أسماؤهم في المصادر، فنجد كمال الدين الشهرزوري الشافعي (ت.587هـ/1191م) وأبا حامد محمد بن عبد الله الموصلي، ولى القضاء بالموصل ودرس بمدرسة أبيه، وبالمدرسة النظامية إلى أن توفي سنة 586هـ[47].

7- نظامية هَراة:

هي من أمهات المدن في إقليم خرسان، تقع على الحدود الشمالية لأفغانستان[48]، وتعد أحد المراكز العلمية في القرن الخامس الهجري، فقد أسس فيها نظام الملك الطوسي مدرسة لأصحاب المذهب الشافعي، وما إن أكمل تهيئتها حتى استدعى لها أبا بكر الشاشي محمد بن علي (ت.485هـ/1092م) وهو من مشاهير العلماء بغزنة وصاحب التصانيف الكثيرة، وهذا ما يبين حقيقة التبادل الثقافي بين أقاليم الخلافة العباسية والذي ساهم في البناء الحضاري.

ومن المدرسين الذين ورد ذكرهم في المصادر بنظامية هَراة نجد أبا سعيد محي الدين النيسابوري (ت.548هـ/1153م) وهو مصنف كتاب المحيط في شح الوسيط، والانتصاف في مسائل الخلاف[49]. وهذا الأخير سبق له وأن درس في نظامية نيسابور[50].

8- نظامية بلَخ:

تعتبر نظامية بلَخ أجمل مدن خرسان[51]، فكانت محل اهتمام السلاجقة إذ بنوا فيها المساجد، وشيّدوا القصور، وتذكر المصادر التاريخية في هذا الصدد، أن نظام الملك أنشأ بها مدرسة، وعيّن فيها أبا القاسم عبد الله بن طاهر مدرسا (ت.488هـ/1095م)[52]، فكان إماما في الفروع والخلاف والأصول[53].

9- نظامية آمل :

إن طبرستان بلاد واسعة تشمل مدنا كثيرة، وهي تسمى مازندارن بفتح أوله وثانيه وكسر الراء[54]. وقد تم بها إنشاء مدرسة، حيث إن السبكي (ت.771هـ/1369م) يذكر أن رجلين درسا في طبرستان وهما : أبو المحاسن الروياني[55] (ت.502هـ/1108م) الذي صنف كتاب البحر في الفقه، وسطه وهو

الفوارس هبة الله بن سعد من أهل آمل طبرستان الذي درس بنظاميتها إلى أن توفي سنة (ت.547هـ/1152م)[56].

10- نظامية طوس :

طوس بالضم، وهي مدينة بينها وبين نيسابور فراسخ، تضم بلدتين يقال لإحداهما الطابران، والأخرى نوفان[57]، بنى نظام الملك السلجوقي فيها مدرسة صغيرة قبل نظامية بغداد[58]، ذلك لأن طوس مسقط رأسه ونشأته (ت.485هـ/1092م)، وهي المدينة التي أقطعها له السلطان ملكشاه (ت.485هـ/1092م) تقديرا لجليل خدماته في الدولة السلجوقية[59].

ثانيا : إدارة السلاجقة للمؤسسات التعليمية

كنا قد أشرنا سابقا أن السلاجقة لم يكونوا أول من استحدث نظام التعليم في المدارس، لكن الشيء الذي ميّز السلاجقة في هذا الجانب هو أنهم أولوا اهتماما كبيرا بتنظيم المؤسسات العلمية، وذلك بوضع أسس ومعايير ومناهج تسير بمقتضاها، وهذه التنظيمات تعد ضمانة لتحقيق أهداف السلاجقة من خلال المدارس النظامية.

1- تعيين الأساتذة:

يذكر عماد الدين الإصفهاني (ت.597هـ/1200م) دقة نظام الملك الطوسي (ت.485هـ/1092م) وطريقته في اختيار المدرسين فيقول: «وكان بابه مجمع الفضلاء ملجأ العلماء، وكان نافذ البصر، ينقب عن أحوال كل منهم، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه... ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب إليه ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم، ونشره وتدريسه، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلي به عاطله، ويحي به حقه، ويميت به باطله...»[60].

فانطلاقا مما أورده الإصفهاني يتبين أن اختيار المدرسين في المدارس النظامية كان يقوم أساسا وفق تقاليد تشبه التنظيمات المعتمد عليها في

الجامعات الحديثة، إذ أنه كان يختبر معلومات المدرسين من خلال المناظرات التي يعقدها في مناسبات مختلفة، فهو يلقي عليهم أسئلة، كان قد فكر فيها مسبقا. وإذا لمس فيمن تقدم للتدريس علما وذكاء، وجهه إلى المسلك الذي يريده، ذلك أن الذين لديهم كفاءة في التعليم يعينهم أساتذة في الحال، ويؤسس لهم مدرسة ومكتبة أو يوجههم إلى إقليم آخر[61].

وكان المدرسون يعينون بمرسوم خاص، أو ما يعرف بالتوقيعات التدريسية[62]. ولما تم تعيين مدرس ما يتوجه إلى الجهة التي اختير لها، فمثلا إذا كان في بغداد توجه إلى دار الخلافة ليوافق أو يصادق على التعيين ثم يخلع عليه طرحة زرقاء وأهبة سوداء[63].

إن هناك شواهد تاريخية كثيرة تبين حقيقة تلك النظم التعليمية التي أشرنا إليها آنفا، فتذكر المصادر التاريخية أن أبا بكر بن محمد بن ثابت الخجندي (ت.496هـ/1103م) قد سمعه نظام الملك الطوسي وهو يعظ بمرو فأعجب به، وعيّنه مدرسا بالمدرسة النظامية لإصفهان[64]، والشريف العلوي الدبوسي (ت.482هـ/1090م)، الذي استدعي ليدرس بنظامية بغداد، لأنه كان بارعا في الفقه والجدل[65].

2- مراتب المدرسين :

كان نظام التعليم قائما على ما جرى في العرف، حيث إنه إذا تم تعيين من تتوافر فيه الشروط، كالقدم، والشهرة، فإنه يبقى في التدريس مدى الحياة، وإذا قرب أجله فغالبا ما يوصي بمن يخلفه من كبار أبنائه، أو المتفوقين من طلابه. غير أن نظام الملك خرج عن هذا العرف، ذلك أنه تولى مهمة تعيين المدرسين وفصلهم وهذا بحكم أن المدارس النظامية خضعت لحكمه وسياسته، فقد يتناوب مدرسان في منصب واحد[66].

أ – **المدرس** : هذا اللفظ لا يطلق إلا على المختص بتدريس الفقه وإلقاء الدروس، ثم إنه إذا ذاع صيته تدريسا وتأليفا صار أستاذا له كرسي المادة، وهي أعلى درجة في مراتب المدرسين[67].

ب – **النائب** : يكون النائب مكلفا بتدريس موضوع ما نيابة عن المدرس إذا كان مشغولا بعمل إداري أو قضائي أو كان مريضا، أو أنه يعين أستاذا مستخلفا في حالة عدم وجود مدرس[68].

ج – **المعيد** : يختاره المدرس من بين طلبته ليعيد دروسه الملقاة على الطلبة، ويكتفي بواحد حسب حاجته، وهو يكلف بإلقاء الدرس ويساعد الطلبة على فهم الدروس ويشرح لهم ما استصعب عليهم في الحلقات السابقة. وإن الذي يقوم بهذا الدور يكون متميزا بسعة الاطلاع واللباقة، وقد كان من هؤلاء المعيدين من يدرس في مكان آخر[69].

د – **الواعظ** : يشترط في الواعظ بالمدارس النظامية أن يكون على المذهب الشافعي ليعين في هذا المنصب، ولا يشترط في الواعظ أن يتفرغ لعمله في الوعظ، بل بإمكانه أن يمارس التدريس والوعظ في نفس المنصب، كما تولى هذه المهمة بعض الوعاظ الشافعية المشهورين غير المعينين في المدرسة[70].

3- مراتب الدارسين:

يطلق على الدارس في النظاميات اسم تلميذ، أو طالب، وعندما يرقى مستواه في المعرفة يقال له مثقف، ثم فقيه، وإذا أكمل دراسة منهجه وبقي ملازما لأستاذه يتلقى منه العلم يُسمى بالصاحب، وقد يعتمد عليه أستاذه فيجعله معيدا لدروسه، وناسخا لمؤلفاته بإشرافه.

أما فيما يخص الإجازات أو شهادات التخرج، فقد يمنح الطالب عدة شهادات من شيوخ متعددين، بناء على طلب يتقدم به إلى مدرسه بعد أن ينهي دراسته، وإذا نال إجازته أصبح قادرًا على أن يشغل منصب مفتي مدرس، في مؤسسات الدولة[71].

ولم يكن نظام الملك الطوسي (ت.485هـ/1092م) مكتفيا بتعيين الأساتذة الأكفاء في مدارسه، بل إنه أوجد لأول مرة ما هو معروف الآن في الجامعات العالمية بنظام الأساتذة الزائرين، الذين يدعون للتدريس في مجال محدد من الزمن في غير المدارس المعينين بها بصفة رسمية. ذلك أنه أرسل إلى نظامية بغداد بعض أعلام المذهب الأشعري، كأبي نصر القشيري (ت.514هـ/1120م)، والشريف أبي القاسم البكري المغربي (ت.476هـ/1083م). وهذا الاحتكاك كثيرًا ما كان يؤدي إلى فتن بين الحنابلة والأشاعرة، فيتدخل الوزير السلجوقي (ت.485هـ/1092م) نظام الملك للتوفيق بينهما[72].

4- الكتاب المدرسي:

إن تحديد منهج الدراسة أمر لا يقل أهمية عن اختيار الأساتذة الأكفاء، ويتضح هذا المنهج من خلال ما ورد في وثيقة وقفية نظامية بغداد، وفي كونها وقفا على أصحاب المذهب الشافعي أصلا وفرعا، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ أن يكون على المذهب الشافعي[73].

ولقد ارتكز التعليم في المدارس النظامية على مادتين: الفقه على المذهب الشافعي، والعقيدة على المذهب الأشعري. كما كانت تدرس مواد باعتبارها سندًا للمواد الأصلية، كالحديث الشريف، والنحو واللغة وآدابها، وعلم والكلام[74]. وهذا ما ذكره ابن الجوزي على أن وقفية بغداد أن يكون بها نحوي يدرس العربية[75]، فقام بتدريس الأدب أبو زكريا التبريزي (ت.502هـ/1109م)، ثم خلفه العالم اللغوي أبو منصور الجواليقي (ت.540هـ/1145م).

أما طرق التدريس في العصر السلجوقي فهي مبنية على منهج تربوي يعتمد على التدرج في التلقي، أي من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، إذ يبتدئ الطالب بالعلوم النقلية التي تعتمد على اللسان ومقوماته، ثم العلوم العقلية القائمة على التفكير، ومن ثمة كان تدريس النحو والصرف في بداية المرحلة الدراسية الطويلة. أما الفقه وأصوله فيرافقان الطالب في المدارس النظامية، كما كان الطلبة أحرارا في اختيار أساتذة المادة التي يرغبون التخصص فيها. والطلبة أحرار في مناقشتهم على ألا يتعدى ذلك آداب طالب العلم. حتى ألف

المهتمون بالتربية وأصول التدريس كتبا في هذا الشأن، مثل الزنوجي "تعليم المتعلم طريقة التعلم"[76].

وقد وصف ابن جبير (ت.614هـ/1217م) في رحلته درسين كان قد ألقاهما الإمام رضي الدين القزويني في نظامية بغداد في شهر صفر سنة 580هـ/1184م، وإن هذين الدرسين يبينان مناهج التدريس المعمول بها يومئذ، ذلك أن المدرس يبدأ درسه في التفسير مثلا، ثم يفتح مجال المناقشة والأسئلة، والتي كان منها يكتب على رقاع وتقدم للمدرس، ثم إنه يجيب عن كل استفسار بعد نهاية الدرس[77].

- المكتبات النظامية :

إن المكتبات مظهر من مظاهر الحياة العلمية، فهي من وسائل نشر العلم والثقافة في المجتمع، فمن أجل ذلك قام الموسرون من العلماء ورجال الدولة بتأسيس دور جمعوا في غرفها مختلف المخطوطات والكتب ليستفيد منها المتعلم، وهذا ثابت تاريخيا في مختلف العصور. وكانت الخزائن التابعة للمدارس النظامية نموذجا من المكتبات المشهورة في العصر الإسلامي، وهي لم تكن الأولى في نوعها، إذ حفلت عواصم الممالك في العراق ومصر، والأندلس وفارس بمكتبات تضم الآلاف من المجلدات في مختلف العلوم والفنون[78]. غير أن التنظيمات التي أدخلت عليها تجعلها متميزة عن غيرها.

لقد انتشرت خزائن الكتب في عصر السلاجقة بالمناطق التي أسس فيها نظام الملك الطوسي (ت.485هـ/1092م) مدارسه. ومن أشهر الخزائن دار الكتب في البصرة لأبي منصور عبد الله بن محمد المعروف بابن شاه مروان الوزير، وأخرى لأبي علي بن سوار الكاتب وهو من رجال عضد الدولة. قال عنها ابن الجوزي حين احترقت سنة 483هـ/1090م: «إنها أول دار كتب عملت في الإسلام»[79].

1- المكتبة النظامية ببغداد :

كان نظام الملك قد أنشأ لكل مدرسة مكتبة، وجعلها عامرة بالمخطوطات ونوادر المؤلفات في المجال العلمي والأدبي. ونمت هذه المكتبات، وأصبحت موئلا للعلماء والطلبة، ولا سيما المكتبة النظامية ببغداد. وفي سنة 510هـ/1116م تعرضت المكتبة النظامية في بغداد لحريق إلا أن الكتب سلمت منه، لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها[80]. ويذكر ابن الأثير أنه في سنة 589هـ/1193م شيد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575هـ - 622هـ/1179م - 1225م) بناء خاصا لخدمة المكتبة، ثم أمر بعمارة خزانة الكتب، ونقل إليها من الكتب المعتبرة ألوفا لا يوجد مثلها[81]. وأشار إلى ذلك ابن ثغري أن الخليفة الناصر لدين الله نقل لهذه المكتبة عشرة آلاف مجلد بالخط المنسوب[82] وخطوط أخرى، وهذا ما يؤكد اهتمام الخلفاء العباسيين يومئذ بالتراث والكتب.

إن الشيء الملاحظ مما سبق ذكره أن المكتبة النظامية في بغداد مرت بعهدين. فالعهد الأول عهد تأسيسها، والثاني عهد تجديدها من قبل الخليفة الناصر لدين الله (ت.622هـ/1225م) وإثرائها بآلاف الكتب المنتقاة من خزانة الخليفة الخاصة[83].

والملاحظة الأخرى التي تجدر بالإشارة هي أن العلماء كانوا يوقعون كتبهم في المكتبة النظامية، فتشير المصادر التاريخية أن محمد بن محمود بن الحسن محب الدين بن النجار (ت.643هـ/1245م) قد أوقف كتبه في مكتبة بغداد، والساعي تاج الدين علي بن أنجب وقف هو كذلك كتبه، وأيضا الحافظ الفقيه محمد بن علي الأزدي الطبري (ت.674هـ/1275م)[84].

2- المكتبة النظامية بمرو:

لقد أشاد ياقوت الحموي بمكتبات مرو حاضرة خرسان التي استوطنها مدة طويلة، وقال إنها كانت عامرة بالكتب، لا سيما في عهد السلطان سنجر السلجوقي (485هـ - 552هـ/1092م – 1157م)، حيث كان بها عشرة خزائن لم ير مثلها كثرة وجودة، فهناك خزانة العزيزية التي وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر النرجاني، بها اثنا عشر ألف مجلد، وخزانة نظام الملك. وقد نوه

ياقوت الحموي إلى العوامل التي ساعدته على جمع مادة كتبه "معجم البلدان" وغيره فقال: فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد، وألهاني عن الأهل والولد[85].

أ- إدارة المكتبات النظامية :

أولى السلاجقة اهتماما كبيرا بتنظيم المكتبات، وهذا للمحافظة عليها وتسهيل سبل الاستفادة منها، فعينوا موظفين فيها، حيث كان الخازن بمنزله أمين المكتبة الذي يجب أن يكون من ذوي الاطلاع الواسع ومعرفة بالكتب والعلوم، ويكون ذا مكانة علمية وله مؤلفات وأبحاث. وهذا النظام لم يكن مستحدثا من قبل السلاجقة فحسب، وإنما كان قائما في العصر الإسلامي بشكل عام[86]. وكان أمين المكتبة في عصر السلاجقة يتقاضى راتبا شهريا قدره عشرة دنانير، ورفعها نظام الملك الطوسي إلى خمسة عشر دينارا[87].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا جليا أن السلاجقة اهتموا بإنشاء المكتبات النظامية في مختلف حواضر الدولة، وهذا لما لها من آثار بارزة على الحياة العلمية في المجتمع.

ب- المكتبات الخاصة :

كانت المكتبات الخاصة منتشرة بشكل كبير في المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس للهجرة، فقلما يخلو بيت عالم ثري من خزانة تحوي المئات من الكتب، كمكتبة الشريف الرضى وأخيه المرتضي والخطيب البغدادي (ت.463هـ/1070م)[88].

ومما سبق ذكره، يتضح أن نظام الملك قام بإنشاء المدارس النظامية في مجال زمني متقارب، من أجل علماء مخصوصين وليس لبلد معين[89]. وقد تخرج من هذه المؤسسات العلمية عدد كبير من العلماء الذين شاركوا في البناء الحضاري بإنتهاجهم العلمي.

- الخاتمة:

نستخلص من هذا المقال أن السلاجقة اتخذوا التعليم وسيلة لصون عقيدة المجتمع من الأفكار الدخيلة، وحماية الخلافة العباسية من التحديات التي كانت تواجهها. فبرعوا في هذا المجال نظما وإدارة، وهو ما يعد إسهاما وتجربة رائدة في الحضارة الإسلامية، كما أفضت جهودهم في مجال التعليم إلى نهضة علمية شهدتها أقاليم بلاد المشرق بصفة خاصة والعالم الإسلامي عامة. والتي تجلت معالمها في كثرة المناظرات العلمية، والمؤلفات والمكتبات، وبالإضافة إلى ذلك أصبحت الحواضر التي أسست فيها المدارس النظامية منارة للثقافة الإسلامية، يقصدها الطلاب والمدرسون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

- الهوامش :

1 - السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي عُرفت باسم الغز، استقرت بالهضاب القريبة من بحيرة خوارزم (بحر آرال)، ثم نزلت بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين وفي الهضاب المحيطة بنهر جيحون. وأطلق على هذه القبائل التركية اسم السلاجقة نسبة إلى رجل تزعمها يدعى سلجوق بن دقاق، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ووحّدها تحت زعامته وقادها ونزل بها إلى أراضي الدولة الإسلامية (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط.2، حققه أبو الفداء عبد الله القاضي، المكتبة العلمية، بيروت، ج.8، ص.336 وما بعدها).

2 - حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط.2، دار الفكر العربي، 1972، ص.555.

3 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ج.2، ص.129 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد العلو، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، 1992، ج.4، ص.314).

- نظام الملك الطوسي : (408هـ - 485هـ/1018م - 1092م)، كان وزيرًا للدولة السلجوقية، اشتهر بحبه للعلم والعلماء وإنشاء المدارس، وهو شخصية بارزة في تاريخ الحركة العلمية بالمشرق الإسلامي (ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، 1318هـ، ط.1، ج.9، ص. 64 ؛ عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك، دراسة تاريخية في سيراته وأهم أعماله خلال استزاره، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص.251 من هنا وهناك).

4 - المقريزي، الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار، د.ت.ط.، ج.2، ص.363 ؛ ما يثير الانتباه أن مؤرخي المشرق وخاصة العراقيين منهم لم يشيروا إلى المدارس وتطورها رغم الترابط العلمي الوثيق بين أقطار بلاد المشرق الإسلامي. في حين اهتم بهذا الجانب مؤرخوا مصر، مثل تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى الذي يعد مصدرا مهما لعصر السلاجقة، والذهبي في سير أعلام النبلاء، والمقريزي في الخطط. وهذا لا شك أنه أمر يدعوا للاستغراب، ونتيجة الإشارات الواردة في المصادر الآنفة الذكر حصل خلاف في المسألة.

5 - كان نظام الملك قد شارك في المقاومة الفكرية في كتابه سياست نامة، إذ ضمن بعض الفصول فضائح الباطنية وفساد مذهبهم.

6 - ذهب بعض الباحثين إلى القول أن أمراء بني بويه قد شجعوا الحركة العلمية في المشرق الإسلامي، فقربوا العلماء حتى أضحت فترة حكمهم للعراق وسيطرتهم على الخلافة العباسية 447هـ - 495هـ/1055م - 1101م، حقبة تاريخية متميزة بغزارة الإنتاج العلمي، كما أدى بهم الأمر إلى القول أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هو العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، لكن المتتبع والمتعمق في طبيعة الأسرة البويهية واعتقادهم، يدرك حقيقة أن تشجيعهم للعلم وتقريبهم للعلماء استكمال للعز والجاه والسلطة التي وصلوا إليها، لاسيما بعد أن سيطروا على بغداد حاضرة الخلافة العباسية وفرضوا سيطرتهم على مجتمع أغلبهم من أهل السنة، فكان ذلك عاملا في تشجيع العلماء القائلين بفكرهم وعقيدتهم، (رشاد عباس معتوق، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي 334هـ - 447هـ/945م – 1055م، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1418هـ/1997م، ص.102).

7 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حققه أبو الفداء، عبد الله القاضي، بيروت، د.ت. ج.7، ص.6464؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، 1318هـ، ج.8، ص.172؛ بشار عواد معروف، التربية والتعليم، حضارة العراق، ج.8، بغداد، 1985، ص.58.

8 – أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط.4، القاهرة، 1972، ص.116.

9 – يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تعليقات المستشرق الألماني أنطوان شيبتالر، ترجمة وتعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، د.ت.ط، مصر، ص.216.

10 – يعتبر النص الذي أورده الطرطوشي وثيقة مهمة في تاريخ الحركة العلمية في عصر السلاجقة، وبخاصة وأن صاحبه كان ممن درس في نظاميات بغداد، (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، سراج الملوك، د.ت.ط.، ص.166).

11 – تعد بغداد (دار السلام) حاضرة الخلافة العباسية ذات الموقع المتميز على طرق التجارة، كما اقترن اسمها بالتقدم العلمي والحضاري للدولة الإسلامية، إذ كان لها دور في الحياة العلمية في العصر الإسلامي، وذلك بانتشار المساجد والمدارس والوراقين وتوافد العلماء، وهي من أهم مراكز إشعاع الحركة العلمية في عصر السلاجقة.

12 – محبوبة، عبد الهادي محمد رضا، نظام الملك، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص.366؛ معتوق، المرجع السابق، ص.242.

Jean-Paul Roux, histoire des Turcs, deux milles ans du pacifique à la méditerranée, Fayard, France, 1994, p.192.

13 – محبوبة، المرجع السابق، ص.369.

Sir Hamilton Alexander, Rosskeen Gilf, Studs on the civilization of islam, part 199, press 1962, p.24.

14 - محبوبة، المرجع السابق، ص.372، نقلا عن الألوسي، مساجد بغداد وآثارها، ص.104-105.

15 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج.8، ص.380.

16 – الطرطوشي، المصدر السابق، ص.166.

17 – ابن الجوزي، المصدر السابق، ج.9، ص.66.

18 – شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق، إبراهيم الزيبق، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج.1، ص.98.

19 – السبكي، المصدر السابق، ج.4، ص.313.

يظهر لي من خلال رواية المقدسي عند قوله: "لم يخل بلد منها" أنه يقصد الآثار الناجمة عن تأسيس المدارس في العصر السلجوقي على العالم الإسلامي، إذ أصبحت نموذجا للمؤسسات العلمية.

20 – حسام الدين السامرائي، المدرسة مع التركيز على النظاميات، التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، ج.2. مؤسسة آل البيت، عمان، 1989، ص.348.

21 – هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي، أبو إسحاق (ت.476هـ/1083م) كان أحد رجال الحركة العلمية في عصر السلاجقة، يضرب به المثل في الفصاحة والمناظرة، وأقبل عليه طلاب العلم من المشرق والمغرب، وقد قال حيدر بن حيدر الشيرازي سمعت الشيخ أبا إسحاق يقول: خرجت إلى خرسان فما دخلت بلدة ولا قرية إلا كان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي، بنى له نظام الملك السلجوقي مدرسة على شاطئ دجلة سنة 459هـ/1066م، وله عدة مصنفات، (السبكي، ج.4، ص.215 وما بعدها؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص. 28 ؛ Khalil, Deman, islam and the medieval west, sumy press, 1980, p.34).

22 – أبو حامد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي (ت.505هـ/1111م)، تفقه في طوس ثم رحل إلى نيسابور، وولاه نظام الملك التدريس بنظامية بغداد، وألف عدة كتب، (الذهبي، المصدر السابق، ج.19، ص.323-324).

23 – محبوبة، المرجع السابق، ص.373-374؛ Williams, opcit, p.157.

24 – محبوبة، المرجع السابق، ص.379.

25 – الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط.، ج.5، ص.331.

26 - أبو المعالي الجويني (ت.478هـ/1085م)، يعد أحد رجال الحركة العلمية في عصر السلاجقة وهذا لما له من إسهام كبير في المجال العلمي، تأليفا وتدريسا. (ابن الجوزي، المصدر السابق، ج.9، ص.18 ؛ السبكي، المصدر السابق، ج.5، ص.168 وما بعدها؛ محمد الزحيلي، الإمام الجويني، ط.1، 1996، بيروت، ص.41-42).

27 – ابن الجوزي، نفسه.

28 – محبوبة، المرجع السابق، ص.380.

29 – السبكي، المصدر السابق، ج.7، ص.296.

30 – أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر قاضي، شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق، الحافظ عبد الحليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ، ج.2، ص.262؛ الذهبي، المصدر السابق، ج.19، ص.251 ؛ السبكي، المصدر السابق، ج.7، ص.297.

31 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي، ط.9، بيروت، 1413هـ، ج.20، ص.314.

32 – اصفهان منهم من يفتح الهمزة وهؤلاء الأكثر والأشهر، وكسرها آخرون وهو لفظ معرّب من ساهان بمعنى الجيش فيكون معناها على حذف المضاف مدينة الجيش، (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البخاري، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج.1، ص.87).

33 – محبوبة، المرجع السابق، ص.383 نقلا عن المافروخي، محاسن أصفهان، ص.105.

34 – ابن الجوزي، المصدر السابق، ج.10، ص.179؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج.9، ص.300.

35 – السبكي، المصدر السابق، ج.4، ص.124.

36 – ابن كثير، البداية والنهاية، خرّج أحاديثه محمد بيومي، عبد الله المشناوي، محمد رضا مهنا، مكتبة الإيمان، د.ت.ط.، ج.11-12، ص.589.

37 – السبكي، المصدر السابق، ج.4، ص.51.

38 – محبوبة، المرجع السابق، ص.384.

39 – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص.112 وما بعدها.

40 – السبكي، المصدر السابق، ج.7، ص.42، 43.

41 – الذهبي، المصدر السابق، ج.20، ص.513؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.7، ص.86.

42 – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص.223-224.

43 – كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى 1000هـ، ط.1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص.137، معتوق، المرجع السابق، ص.257.

44 – أبو الحسين محمد بن محمد بن جبير الأندلسي، الرحلة، دار الكتب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، مصر، د.ت.ط.، ص.168.

45 – محبوبة، المرجع السابق، ص.387.

46 – ابن جبير، المصدر السابق، ص.168.

47 – السبكي، المصدر السابق، ج.6، ص.186، ابن خلكان، المصدر السابق، ج.3، ص.379.

48 – صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، ج.1، ص.1455.

49 – السبكي، المصدر السابق، ج.4، ص.190.

50 – ابن خلكان، المصدر السابق، ج.4، ص.223، السبكي، المصدر السابق، ج.7، ص.26.

51 – صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، ج.1، ص.217.

52 – السبكي، المصدر السابق، ج.5، ص.63.
53 – السبكي، المصدر السابق، ج.4، ص.321.
54 – صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، ج.1، ص.878.
55 – هو عبد الواحد بن إسماعيل، أبو المحاسن الروياني، من أهل طبرستان، ومن علماء الشافعية، ولد سنة 415هـ، وحصل علوما كثيرة، وصنف كتبا في المذهب، وكان يقول لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي، قتل سنة 502هـ (ابن كثير، المصدر السابق، ج.11-12، ص.553).
56 – السبكي، المصدر السابق، ج.7، ص.326.
57 – صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، ج.1، ص.897.
58 – لا تزال مدينة طوس تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتباتها الثرية (محبوبة، المرجع السابق، ص.390).
59 – محبوبة، نفسه.
60 – الإصفهاني، المصدر السابق، ص.59.
61 – الإصفهاني، نفسه، محبوبة، المرجع السابق، ص.356.
62 – أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج.9، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1334هـ/ 1916م، ص.292.
63 – الأهبة: البزة الرسمية (محبوبة، المرجع السابق، ص.356).
64 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج.9، ص.419، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج.10، ص.179.
65 – السبكي، المصدر السابق، ج.5، ص196 وما بعدها.
66 – محبوبة، المرجع السابق، ص.356-357.
67 – محبوبة، المرجع السابق، ص.357.
68 – السبكي، المصدر السابق، ج.8، ص.179؛ محبوبة، المرجع السابق، ص.357.
69 – محبوبة، المرجع السابق، ص.357-358.
70 – السامرائي، المرجع السابق، ص.353.
71 – محبوبة، المرجع السابق، ص.364، نقلا عن عبد الله فياض، الإجازات العلمية.
72 – ابن الجوزي، المصدر السابق، ج.9، ص.221؛ أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، ط.1، جدة، 1403هـ - 1983م، ص.220 وما بعدها.
73 – ابن الجوزي، المصدر السابق، ص.66.
74 – بدوي، نفسه؛ محبوبة، المرجع السابق، ص.359.
75 – ابن الجوزي، نفسه.
76 – محبوبة، المرجع السابق، ص.359-360.
77 – ابن جبير، المصدر السابق، ص.158؛ محبوبة، المرجع السابق، ص.361.
78 – محبوبة، المرجع السابق، ص.391 وما بعدها.
79 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج.8، ص.465.
80 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج.9، ص.166.
81 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج.10، ص.229.
82 – جمال الدين أبو المحاسن يوسف، بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة، د.ت.ط، ج.6، ص.132.
83 – ابن الأثير، نفسه.
84 – الذهبي، المصدر السابق، ج.4، ص.129.
85 – ابن خلكان، المصدر السابق، ج.6، ص.134.
86 – محبوبة، المرجع السابق، ص.396، نقلا عن هند شاه، تجارب السلف، ص.334.
87 – نفسه.
88 – كوركيس، المرجع السابق، ص.231 وما بعدها.
89 – معروف، المرجع السابق، ص.57 وما بعدها.
- رغم التوسع في بناء المدارس، إلا أن هذا لم يقلل من دور المسجد، بل إن دوره بقي بارزًا في المجال العلمي (السامرائي، المرجع السابق، ص.36).